الشّرق في المنظور الغربي

East in the western perspective

بلال لشمط*

د.بسرة شهاب♣

تاريخ الإرسال: 2020/08/10	تاريخ القبول:.2020/10/12	تاريخ النشر:2020/12/30

الملخص:

تعنى هذه الدّراسة بالبحث عن نظرة الغرب للشّرق، في الدّراسات العربية والغربية المعاصرة، والتي تشملُ عدّة جوانب منها صورة العربي، بالإضافة إلى صور الدّين الإسلامي... لأنّ العالمَ اليومَ مدعوٌّ أكثرَ من أيّ وقتٍ مضى إلى الدّخول في حوارٍ جادٍ بنّاءٍ بصورة هادفةٍ على كافّةِ المستويات ليثبتَ جدارته وأهليته ومساهمته في صياغة الحضارة الإنسانية الرّاقية بالرغم من اختلاف الثقافات وتعدّد الألوان واللّغات. كما يجبُ الاستفادة من منجزاتِ الحضارةِ الغربيةِ على كافّة الأصعدة: التّجريبية والعلميّة والفكريّة دونَ الرّوحية منها والتّركيز على الإسلام قرآنًا وسنّةً في التعاملِ مع الغربِ؛ لأنَّ تقدّمَ الغرب تقدّمٌ مادّي ينقصُه الجانب الرّوحي، ولن نلحقَ بركبِ العالمِ والتقدّمِ ما لم نوجّه أنفسنا ومجتمعنا بالجديد والمفيد من الحضارة الغربية التي فَرضَت نفسَها على العالمِ أجمعين.

الكلمات المفتاحية: الشّرق- الغرب- الصّورة- المثاقفة- الانغلاق- الانتفاح.

المؤلّف المرسل: بلال لشمط lachemttebillel@gmail.com

*جامعة يحي فارس بالمدية/الجزائر lachemttebillel@gmail.com

♣جامعة يحي فارس بالمدية/الجزائر chihab_besra@yahoo.fr

Abstract:

This study is concerned with searching for the West's view of the East, in contemporary Arab and Western studies, which includes several aspects, including the image of the Arab, in addition to images of Islamic religion ... Because the world today is more than ever invited to engage in a meaningful and constructive dialogue in a meaningful way at all levels to prove its worth, eligibility and contribution to the formulation of high human civilization in spite of different cultures, multiple colors and languages. We should also take advantage of the achievements of Western civilization at all levels: experimental, scientific and intellectual without being spiritual and focusing on Islam, the Qur'an and Sunnah, in dealing with the West; Because the progress of the West is material progress that the spiritual side lacks, and we will not catch up with the world and progress unless we direct ourselves and our new and beneficial from the Western civilization that imposed itself on the whole world.

***Key words**:* east-west-photo -Intellectuals-seclusion- uprising.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊

مقدّمة:

إنّ من أهمّ القضايا التي تشغل عقول الصّفوة من العلماء والمفكّرين، وتستقطب اهتمام المنشغلين بالدّراسات المستقبلية، قضية الشّرق الرّوحاني المتخلّف والغرب المادّي المتقدّم وطبيعة العلاقة بينهما، وما تفرضه من تحديات تتخطّى في معظمها النطاق الدّيني والحضاري والثّقافي إلى مجالات أخرى. فالحضارة الغربية لم تتسيّد العالم صدفة بل اطّلع الكثير من علمائهم على علوم علماء الشّرق وفنونهم ما حفّزهم لاقتناء آثارهم ونظرياتهم ونقل علومهم وفنونهم لتكون هذه العوامل لبنة حضارتهم الجديدة، فالتّلاقح والتثاقف الحاصل بين قطبي الشّرق والغرب تفاعل حضاري أزلي لا مناصّ منه بين أخذ وردّ، إلاّ أنّ صورة الشّرق في المنظور الغربي عرفت الكثير من التشويه والتزييف، فرسم الشّرقي ومن وراءه العربي المسلم تارة بأبشع الصّور؛ بسبب الاستشراق، وتناسلت الجمل والعبارات لترسم الشّرقي العربي بأبهى الصّور تارة أخرى بعد تحرّر الغرب من أفكار الاستشراق إلى جانب تغيير نظام الحكم في أوروبا خاصّة، إضافة للنمو الديموغرافي الكبير للجاليات

المسلمة في القطب الغربي ما ألزمه على احترام عقائد الآخر؛ قصد تحقيق التعايش الحضاري.

وعليه سنحاول التطرّق للإشكاليات الآتية: ماذا يقصد بالشّرق والغرب ؟ وهل لمحاولات تجسير الحوار بين الغرب والشّرق أثر في نزع اللّجام عن هذا الأخير الرّوحاني ؟ وهل الصّور النّمطية المشوّهة لا تزال تساير العقل الأوروبي ؟ وما هي الأسس التي يؤشّر بها الغربي صورة الشّرق ؟

وتهدف هذه الدراسة في جوهرها إلى البحث عن صورة الشّرق في المنظور الغربي- في حدود النّماذج المختارة- إذ سنحاول استشفاف علاقة كل طرف بالآخر من خلال بنى فكريّة وإيديولوجيّة وثقافيّة واجتماعيّة، وتضييق للصّورة النّمطية المشوّهة المرتبطة دائمًا بالشّرق بين الماضي والحاضر.

ومن أجل الوصول بهذه الدّراسة إلى النتائج المرجوة، استعنا بالمنهج الوصفي التحليلي، بالإضافة إلى المنهج المقارن قصد المقابلة بين الشّرق والغرب.

كما سنحاول التطرّق لعدّة نقاط أساسية تتمثل في: مفهومي الشّرق والغرب، مثاقفة الشّرق للغرب في الرّواية العربية، صورة المسلم عامّة والعربي خاصّة في الدّراسات الغربيّة المعاصرة، وفي الأخير خاتمة كحوصلة لما جاء.

1- مفهوم الشّرق والغرب :

يعدّ موضوع الشّرق والغرب أحد أبرز المواضيع الجدليّة في العصر الحديث، لذا لا يستقيم لنا الأمر في بحث العلاقة بينهما ما لم نحدّد مفهوم الشّرق والغرب اصطلاحًا، باعتبار الجدل القائم بينهما هو المحور الرّئيس لموضوع الدراسة.

1-1مفهوم الشّرق:

ما يتبادر إلى أذهاننا لأوّل وهلة عند سماع مصطلح الشّرق مباشرة الموقع الجغرافي له، إلّا أنّ مفهوم الشّرق اليوم لا يعنى به ذلك البعد الجغرافي فقط، بل تعدّى إلى أبعاد عديدة منها: الإسلام، العروبة، بلدان العالم الثالث أو النّامي أو الفقير والمتخلّف...وهو مصطلح غربي من أجل رصد أوجه التفوّق بين عالمين متناقضين، فإذا كان الشّرق يمثّل التخلّف فالغرب يمثّل التقدّم، وإذا كان الغرب يمثّل كل ما هو مادي فالشّرق روحاني لأبعد حد... فإذا كانت هذه الدّول التي جاءت تحت كنف مصطلح الشّرق فيمكن القول إنّ الشّرق مهد الحضارات، وهو لبنة بدايتها.

وقد جاء مصطلح الشّرق ليشير إلى كل ما لا يوافق الغرب وتطلّعاته، حتّى يوسّع الهوّة بينه وبين الغرب، يرى إدوارد سعيد بأنّ مفهوم الشّرق: "شأنه شأن الغرب يمثّل فكرة لها تاريخ وتقاليد فكرية، صور بلاغية ومفردات جعلتها واقعًا له حضوره الخاص في الغرب وأمام الغرب"[1].

ومنهم من حصر مصطلح الشّرق في المفهوم الدّيني الإسلامي، والذي شوّه أيضًا نتيجة الحروب الدّاخلية الكثيرة في الشّرق الأوسط على أنّه دين التعصّب والتشدّد، ورمز لقضم الكثير من الحريات، وقمع كل ما هو ليس إسلامي عربي، في المقابل كل هذه الحروب مشروع غربي استدماري.

1-2-مفهوم الغرب:

إذا حاولنا ضبط مصطلح "الغرب" فلا بد من الإشارة إلى جذوره الأولى انطلاقًا من التّحديد الجغرافي له، "وهو ما ترسمه الخطوط الجغرافية والخرائط العالمية لما يقع في جهة الغرب من آسيا وإفريقيا وأمريكا وكندا"[2].

والملاحظ من خلال هذا التحديد لبلدان الغرب التباين الكبير في أراء الكثير من الباحثين مبرّرين ذلك بأنّ:"في أوروبا ما يعدّ شرقيًا كجزء كبير من تركيا وفي الشّرق ما يعدّ غربيًا كإفريقيا الجنوبية وأستراليا..."[3] وهذا راجع للتغيّرات التي طرأت حديثًا في اتّباع كل من أستراليا واليابان للنمط الغربي "سياسيًا، اجتماعيًا واقتصاديًا..." وهو ما يمثّل اليوم لنا النظام العالمي الجديد.

والمتتبّع لمفهومي الشّرق والغرب يلاحظ تغيّر دلالتها من حقبة لأخرى، حيث كان مصطلحا الشّرق والغرب تنظيرًا ومقابلة للدّين بين الإسلام والمسيحية، صراع إيديولوجي محض، ليغيّر الغرب المفهوم الدّيني إلى التّحديث الجغرافي، والملاحظ أن البعد الجغرافي اليوم الذي كان في بادئ الأمر، قد أقصي من مفهوم الشّرق كمشرق الشمس والغرب كاتّجاه غروب الشمس، فسمي الشّرق نسبة لبلدان (الشّرق الأوسط وشمال إفريقيا) والغرب (أوروبا وأمريكا الشّمالية) وهذا التّقسيم كان لأغراض غربية، ليغدوا الشّرق مرتبط بكل ما هو مناقض للغرب، وبعد نيل الغرب من الشّرق انتقلت دلالة الشّرق والغرب إلى الطّابع السّياسي بين شرق مستعمَر وغرب مستعمِر، وبنهاية هيمنة الغرب السّياسية على الشّرق عمومًا أخذ الغرب يبحث عن أشكال أخرى قصد فرض قيوده على الشّرق المنهك، فلجأ إلى السّيطرة الحضارية بين شرق روحاني متخلّف يتخبّط في الموروث وبين غرب مادّي متقدّم بلغ غاياته.

2- مثاقفة الشّرق للغرب في الرّوايـة العربيّة:

يعنى بالمثاقفة عملية التّغيير أو التطوّر الثّقافي الذي "يطرأ حين تدخل جماعات من النّاس أو شعوب بأكملها تنتمي إلى ثقافتين مختلفتين في اتّصال وتفاعل يترتّب عليها حدوث تغيّرات في الأنماط الثقافية الأصلية السّائدة في الجماعات كلّها أو بعضها"[4].

قضية الشّرق والغرب من التيمات التي سيطرت على السّاحات الأدبيّة في العصر الرّاهن، وهي من أكثر القضايا الأدبيّة شيوعًا وأهميّة، وعليه فقد تأثّرت الرّواية العربية

منذ نشأتها إلى اليوم بالفكر الغربي عمومًا وبالرّواية الغربيّة بالخصوص شكلًا ومضمونًا، ومن بين الذين مثّلوا هذا التلاقح والتثاقف بين قطبي الشّرق والغرب نذكر منهم كل من رفاعة الطهراوي في "تلخيص الإبريز في تلخيص باريز" (134)، وعلى مبارك في "علم الدّين" (1836)، وأحمد فارس الشدياق في "الساق على الساق فيما هو الفرياق" (187)، وتوفيق الحكيم في "عصفور من الشرق" (1938) و"قنديل أم هاشم" (1944) و"الحي اللّاتيني" (1953)...

إنّ المثاقفة بين الشّرق والغرب على مسارح الأدب تعكس لنا إمكانية التّواصل الحضاري بين الطّرفين، فالتناقض القائم بين الشّرق والغرب تناقض ثقافتين وفكرين مختلفين، والاختلاف لا يعني الصّراع والتضاد بقدر ما يدعو للتعرّف على حضارة الآخر وإقامة جسور حوار متواصل، ولعلّ أهم التناقضات قد انحصرت في كون الشّرق كتلة وكيان للتخلّف والغرب يمثّل التّقدّم التكنولوجي. لكن هذه التناقضات لا تعني بالأساس عدم وجود رابط بين الشّرق والغرب، حيث يرى عبد الوهّاب المسيري ملخصًا أهم نقاط التلاقي قد تمثّلت في:

"1- نقاط التشابه بين العقدتين الدّينيتين الإسلامية والمسيحية، تؤدّي إلى التّقارب والتّفاعل، إنْ أحسن فهمها وتوصيلها، فالعقيدة الإسلامية تشترك مع العقيدة المسيحية في الإيمان بإله متجاوز للطبيعة والتاريخ، وهو إله العالمين، كما أنّ الرؤية الإسلامية والمسيحية تفترض المساواة بين البشر.

2- علاقة الجوار بين العالمين، فنحن نقتسم مع الغرب حدود البحر الأبيض المتوسّط، وثمّة عناصر مشتركة وإيكولوجية مشتركة وحدود مشتركة أيضًا، مما يجعلها تصلح أساسًا للتفاهم والحوار.

3- وجود الأقليات المسلمة في الغرب، يمكن أن يكون جسرًا بين العالمين، إذا أحسن التعامل معها"[5].

إلّا أنّ مشكلة الغرب اليوم ليس مسيحيًا بل علماني وثني كثّف من حملاته الدّاعية للقطيعة مع الأفكار العقائديّة الغيبيّة، فكان الإسلام أكثر المعتقدات تعرّضًا لمحاولات التزييف، كما لم تمنع المسيحية ذاتها من حملاتهم المعادية لفكرة الأديان؛ والدّليل ما نشاهده من كثرة الملحدين في الغرب وانتشار قنوات خاصة تدلي بعدم وجود الله أصلًا، وأنّ العالم مجرّد ماديات يقدّم كل شيء على الملموس وما يقرّه العلم الملموس مبتعدين بذلك عن الدّين الإسلامي والمسيحي كطرف محايد من جهة، وكطرف يرفض كل ما هو روحاني، فالصّراع اليوم بين الغرب والشّرق صراع حضاري أكثر منه عقائدي، وبالتالي قد خرجا من النّطاق الدّيني إلى الحضاري، لتتعالى أصوات العلمانيّة المنددّة بفصل الدّين عن الدولة.

وبتحرّر العقل الغربي من قيود الكنيسة وأفكارها المناقضة للعلم استطاع الغرب أن يقوم مجدّدًا باهتمامه بالعلوم ومختلف الفنون بعد احتكاكه بالشّرق الغني بكنوزه المعرفيّة والطبيعيّة، ما أهّل الغرب مرّة أخرى لقيادة العالم، ويعبّر **الروائي اللّبناني أمين معلوف عن الحضارة الغربية** بأنّها: "تسلّمت زمام الأرض، وأصبح علمها هو العلم، وطبّها هو الطب، وفلسفتها هي الفلسفة... فمنذ خمسمائة عام، وكل ما يؤثر تأثرًا مستديمًا في أفكار البشر أو صحتهم أو بيئتهم أو حياتهم اليومية، هو من صنع الغرب"[6].

ونتيجة لما يعانيه الشّرق اليوم من الصّدمة التي أصابته بسبب الغرب أدّى إلى ظهور شقّين متناقضين في الانفتاح على الغرب؛ بين طرف يدعو لاتّباع نهج الغرب يتّسمون بنظرة انبهارية لهذا الأخير، وبين طرف رافض ومعارض لكلّ أشكال الحوار ذو مركب نقص يحمّل الغرب سبب تأخّره عن ركب دول العالم المتقدّم، يتّسم هذا الطّرف بنظرة عدائيّة للغرب والذي يمثّل: "... بنية عدوانية هجومية نقلت عناصرها هويّتها إلى جميع مفاصل المجتمعات وعرقها، ومن ضمنها المجالات العلمية والمعرفية..."[7] وهذا كرد فعل لما أصاب العالم العربي نتيجة العدوان الغربي. وعلى ضوء هذه المعطيات فقد اتّصل الغرب النصراني بالشّرق الإسلامي اتّصال اعتداء مسلّح .

ومن بين القضايا التي نوقشت على مدار العقود الأخير قضيّة إقصاء الغرب للشّرق ظاهريًا، ومعايرة واقعه المرير، والذي كان في الحقيقة سببًا مباشرًا في تأزّم أوضاعه المادّية، ليرسم له صورًا مضلّلة دفعت به إلى انغلاق قاتل بدوره على الغرب، يقول **محمد نورالدين أفايه**في كتابه **"المتخيل والمتواصل مفارقات العرب والغرب"** قائلًا: "الشّرق عند الغرب ذو عقلية مختلّة تنقصه التقصي ولا قيمة له خارج ما يمنحه له الغرب، من أحكام وآراء، ولذلك يغدوا الشّرق نتاج فكر الغرب، والغرب وما تنطق به فلسفته"[8].

واستنادًا لذلك فإنّ العقلية الغربية تؤمن بقدرة العرب والمسلمين وبحضارتهم دون إظهار ذلك علنًا، لذا يسعى دائمًا إلى فرض قيوده عليه، وبإحكام قبضته المادّية على الشّرق الأسير الحالم. فيرى الغرب يرى في الشّمال الإفريقي المسلم "تهديدا ديموغرافيا وفي دول الخليج العربي تهديدًا اقتصاديًا، وفي الإسلام عنفًا وإرهابًا..."[9]. وما كان للغرب أن يكون لما هو عليه اليوم لولا احتكاكه بالشّرق عامّة وبالعرب المسلمين خاصّة.

ففي الحقب التي وصلت إليها الحضارة الإسلامية إلى أوّج العطاء كانت أوروبا غارقة في الحروب الدّاخلية، إضافة لانتشار الجهل والأمية... في المقابل قدّمت الحضارة الإسلامية طرق الحياة السّديدة في شتّى المجالات وسمت بالعلوم، كالكيمياء والطّب... فالشّرق كان بمثابة الأرضية الحضارية والثقافية التي أقام الغرب عليها حضارته ليبلغ غايته، طبعًا بعد استنزاف ثرواته.

3- صورة العرب في الدّراسات الغربية المعاصرة:

تباينت صور العربي في الدّراسات الغربيّة بين منفتح منصفًا إيّاه وبين رافض مشوّه له، وعمومًا إذا كان العرب تابعين للغرب يوصفون بصفات إيجابية كالوفاء والتفاني في خدمة الغير، أمّا إذا أفلتوا من قبضتهم أصبحوا أعداءً وإرهابًا متمرّدين يوصفون بأقبح الصّور الدّونيّة.

3-1- الصّورة العدائيّة:

إنّ الصّورة النّمطية للعرب في السّينما الغربية أو الأعمال الأدبية أجمعت جلّها على صفات خصّت بها الشّرق عامّة والعربي خاصّة، ومن بين هذه الصّفات التحقيريّة نجد بأنّه: زير نساء ثري، ليس أهلًا للثقة، متوحّش، شهواني، عنيف لا يعرف المزاح... وغالبًا ما أظهرته بذلك الإنسان البدوي المتخلّف الذي يتخبّط بين الفسق والدّعارة، ميسور الحال، وفي بعض المرّات يصوّر على أنّه إرهابي. فقد لازم في الغالب كلمتي "العرب" و"المسلمون" سياق يحمل طابعًا سلبيًا يعبّر عن معنى العدوان والمجابهة.

فعناوين الصِّحافة والإعلام في الغرب عامّة شوّهت صورة العربي والإسلام، لذا كرّست تلك العناوين على حدّ قول **جون أسبوسيتو –مدير مركز التّفاهم الإسلامي المسيحي بجامعة جورج تاون بالولايات المتحدة الأمريكية**- "درجة الجهل المذهل للعرب والإسلام... لدرجة أنّ عديدًا من النّاس في دول الغرب لديهم مُسَلمة بديهية، وهي أنّ العرب ما هم إلاّ بدو، أو أثرياء نفط يسكنون الصّحراء، أو الحرملك، وأنّ العربي الفغالي، مقاتل، ولا يخضع تصرّفاته للعقل"[10].

طالت النّظرة التّقليديّة الأدباء الغربيّين كذلك فصوّروا العرب بأبشع الصّور، يتّسم هذا الشقّ من الأدباء بنظرة استعلائيّة ذي طابع معادي للآخر، ومن أمثال هؤلاء نذكر **الشّاعر لامرتين** والذي يصفالعرب عن جهلٍ لماضيهم الغني بأنّهم: "أمم دون أرض أو أوطان أو حقوق أو قوانين أو أمن، وهم ينتظرون الملاذ الأمين باحتلال الأوروبيين لهم، وقد تولى "لامرتين" وزارة الخارجية الفرنسية عام 1848"[11]. ما نلحظ الحقد الكبير الذي يعتريه اتّجاه عالم الشّرق، بل ويعدّ احتلال الغرب للعرب الحل الأمثل لاجتثاثهم من قاع الجهل والتخلّف.

كما ينكر "**برنال**" مآثر علماء المسلمين ويحصرها في حفظهم لمواريث القدماء قائلًا: "رضي معظم علماء المسلمين بالنّمط الكلاسيكي الأخير للعلوم، ووثقوا هذا النمط ولم

يكن لديهم طموح كبير ليحسنوه، ولم يكن لديهم أي طموح لأن يطوره تطويرًا ثوريًا"[12]. وعليه نلتمس محاولته إقصاء الدّور الكبير الذي لعبه المسلمون من أجل البشرية، وما وصلوا إليه في العصر الذّهبي.

فعدوانية الغرب على العالم جرّت البشر إلى تجرّع واقع الأسى والحرمان، بفرض التبعيّة الكاملة بالقوّة لمناهج ومنظومته الفكريّة، لذا قيمه متغيّرة؛ قصد المنفعة والمصلحة، حيث يقرّ **الدكتور عبد الوهّاب المسيري** في كتابه "**العالم من منظور غربي**" قائلًا: "حين قرّر الإنسان الأبيض، بعد عصر نهضته وبعد إحساسه بمركزيّته السّيطرة على الكون (الإنسان والطبيعة) فجهّز الجيوش وقام بإبادة سكان الأمريكيّتين ونقل ملايين الأفارقة إلى هاتين القارتين ليتحوّلوا إلى قوّة عضليّة، فهلك بعضهم أثناء عملية النّقل وتمّ تحطيم الباقين بعد وصولهم ثم نشر قوّته العسكرية في كل أنحاء العالم وحطّم البنى الاقتصاديّة والسياسيّة والثّقافية والمحلية في آسيا وإفريقيا"[13]. قصد تحويل هاتين القارتين إلى مستعمرات وأسواق لمنتجاته وإلى مصدر للمواد الخام، ومن خلال الهيمنة العسكريّة المباشرة فرض النظام العالمي الذي يناسبه، وبالتالي إعدام وإبادة الطبيعة البشرية لصالح الطبيعة المادّية وطبيعة الأشياء، كما سعى إلى تصدير أزماته الاجتماعية والاقتصاديّة إلى الشّرق خاصّة.

فلا يبسط الغرب راحتيه على الشّرق إلّا لنوايا خبيثة حسب الكثير من الأدباء والخبراء السياسيّين خاصّة، حيث يرى **الجابري** محاولة انفتاح الغرب على الشّرق مجرّد تمويه لبلوغ غايته المادّية، فيقول: "**إنّ الغرب حينما يتّخذ طرفًا ما (آخر) له يعيد بناءه ويصنعه صنعًا جديدًا، ليضمّنه جميع أنواع السّلبيات، من ناحية أخرى فإن الإسلام كـ(آخر) يعني في نفس الوقت (العرب) مصدر تهديد لحاجة أوروبا والغرب للنفط، وهو يعني أيضًا (المهاجرين) المسلمين بوصفهم مصدر تهديد ديموغرافي و اقتصادي لأوروبا، وهو يعني ثالثًا (الإرهاب) بوصفه تهديدًا لمصالح أوروبا**"[14]. فالشّرق بمثابة مستودع

اقتصادي للغرب، لذا قام بزرع الكيان الصّهيوني الغاشم في مكان استراتيجي وتمويله ليكون عينه على مصالحه.

إنّ موضوع **صورة الإسلام** بين أواسط معاديه من الغربيّين موضوع ضارب في القِدم، حيث تبقى النقاشات متواصلة عن الصّور السلبيه عنه، والتي تعكس الجمود العقائدي والتصلّب الفكري لمهاجميه، حيث يعترف كارهو الإسلام بأنّه الدّين الوحيد الذي تناقض مصادره الأصلية أسس النصرانية، فقد جاء في **"بروتوكولات قساوسة التنصير"**: "... إنّ النظام الإسلامي هو أكثر النظم الدينية المتناسقة اجتماعيا وسياسيا... إنّه حركة دينية معادية للنصرانية، مخططة تخطيطًا يفوق قدرة البشر ونحن بحاجة إلى مئات المراكز، تؤسّس حول العالم بواسطة النصارى للتركيز على الإسلام وتوصيل فهمه إلى المتنصرين من أجل اختراق الإسلام في صدق ودهاء !!"[15]لأنّ عقيدة التّوحيد وقوّة السّنة والتّعصب الدّيني "كانوا من العوامل الرئيسية في مقاومة الشّيوعية وفي جعل المسلم متحفظًا تجاه كل ما هو أيديولوجي إلحادي... فكلّما يتقدّم هذا المفكّر المسلم أو هؤلاء المسلمون بحل هذه المشكلة "يسرع من طرفهم أولئك الأخصائيون لدراسة هذا الحل، فإن كان خاطئًا، زادوا من شحنة خطئه بطريقة أو أخرى، وإن كان فيه بعض ما يفيد حاولوا كل جهدهم للتقليل من شأنه، وتخفيض قيمته حتى لا يفيد"[16].

بل ويعتقد الكثير من معادي الإسلام أنّ المسلمين فرضوا دينهم بالقوّة على الجزائريين والمغاربة، إذ يعتقدون بأنّهم ليسوا عربًا أصلًا نظرًا لموقعهم الذي شهد عدّة حضارات سكنت هذه الأراضي كالرّومان والكراغلة... فقد جاء في كتاب **"تاريخ فرنسا" لغيومان وف لوستر** أنّ العرب المسلمين "قالوا للنّاس أسلموا أو تموتوا" بينما أتباع المسيح: ربحوا النّفوس ببرّهم وإحسانهم، ماذا كانت حال العالم لو أنّ العرب انتصروا علينا؟ إذن لكنّا نحن اليوم مسلمين كالجزائريين والمراكشيين"[17]. طالت هذه الصّور

النمطيّة مخيّلات العديد من مفكري الغرب قصد تشويه حقيقة الإسلام، كما تكمن غايتهم في فصل دول شمال إفريقيا عن الحيّز الشّرقي بخطابات دسمة خبيثة.

فقد كرّس العلماء منذ القدم قدرًا كبيرًا من أبحاثهم وأعمالهم عن حقيقة الشّرق، هذا الشّرق الذي سعى **الاستشراق** لسلب روحه ومادته، بداية من زرع أفكار ورؤى تحقيريّة في المناهج التّربويّة الغربيّة، فقد وجد في المناهج الدّراسية المقرّرة على الطّلاب الأمريكيّين في مراحل التّعليم المختلفة كما يذكر **الدكتور الأديب خضور** في كتابه **(صورة العرب في الإعلام الغربي)** "وسيلة فعّالة لتشكيل وعي الأجيال وتصوير العرب كشعب بدوي مغرم بالغزو والنصب والسّلب... والعربي "وثني كافر" و"الإسلام ديانة غير متسامحة" انتشر بحدّ السّيف فقط"[18].

فصورة الإسلام لم تسلم هي الأخرى في **مناهج التعليم الأساسي الإسباني** قبل تغيير نظام الحكم، حيث يعرّف الإسلام كالتالي: "هو الدّين الذي ابتدعه محمد، يسمح بتعدّد الأزواج ويأمر بقتل غير المسلمين، ويحرّم الخمر والخنزير، لأنّ محمدا كان شملاً ذات يوم فعضه خنزير ولما استفاق حرّم الخمر والخنزير معاً"[19]. والإسلام في المراحل الثانوية هو دين متأخّر يدعو للعنف والحرب والتسلّط. وبعد تغيير نظام الحكم في إسبانيا أزيلت الشّبهات المترئسة على مفهوم الإسلام، لتزول تلك النظرة النمطيّة المشوّهة، التي طالت العالم العربي.

يرى **مالك بن نبي** الإنتاج الاستشراقي بكلا نوعيه بأنّه كان شرًا على المجتمع الإسلامي؛ لأنّه "ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان سواء في صورة المديح والإطراء التي حوّلت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر وأغمستها في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التنفيذ والإقلال من شأننا، بحيث صيّرتنا حماة القيم عن مجتمع منهار، مجتمع ما بعد الموحدين، بينما كان من واجبنا أن نقف منه عن بصيرة طبعاً ولكن دون هوادة..."[20] ويضيف **إدوارد سعيد** عن الاستشراق الذي هو في الواقع شكل من أشكال

العنصرية قائلًا: "قد شوّه الإسلام ووصفه بالجمود واللّاعقلانية والعداء الدائم للغرب"[21]. بل ويصف الكثير من المستشرقين أنفسهم بالمؤرّخين لتاريخ الشّرق وليسوا بسالبين لكنوزه المعرفيّة.

وممّا تقدّم نستنتج غاية الغرب من مهاجمة الشّرق بكل الوسائل خاصّة النّفسي منه ما هو إلّا محاولة في طمس هويّته وتاريخه الثّري، بعد رفض هذا الأخير التماهي والانصهار به، بمحافظته على ثقافة الذّات دون الانقياد به، متشبّثا بقيمه الرّوحية والتي تفوّق بها على نظيره الغربي المادّي الذي عرف انفلاتا خطيرًا بمنظومته الأخلاقيّة.

3-2- الصّور الحضارية للانفتاح على الشّرق:

تتفاوت وتباين أراء ورؤى مفكري وعلماء الغرب في نظرتهم للشّرق بحلول عصر النّهضة، وبعد أن أُسقط اللّجام عن الكثير من الدّراسات العدوانيّة التحقيريّة في تناولها قضيّة الآخر تناسلت العديد من النّظريات والأبحاث التي دعت صراحة لتصحيح الكثير من المفاهيم الدّونية، منتهجة الموضوعيّة والنّزاهة في إعادة رسم معالم جديدة عن الإسلام والعرب، فالإسلام الذي شهد هجمات شرسة من الغرب لا تسعها الصّفحات بأنّه دين العنف، وأنّ النبي محمّد صلى الله عليه وسلّم دعا إلى سفك الدّماء وفرض الإسلام غصبا على رافضيه هاهي اليوم الكثير من الكتب الغربيّة تعترف بحقيقة الإسلام ونبيّه الكريم،ومن الكتب الحديثة التي أنصفت الإسلام والنبي الكريم محمد صلى الله عليه وسلم أيضا نجد قد جاء كالتالي **"أعلن محمد أن العلاقات الإنسانية الصحيحة لا تقوم على رابطة الدّم و إنّما على الأخوة في الله، وقد أعلن هذا في قلب مجتمع قبلي تتحكّم القبيلة في كلّ شيء فيه ومن هنا ثاني صفة العالمية التي يتميّز بها الإسلام"**[22]. ذلك أنّ رسالة لم تكن موجّهة لقبيلة معينة ولا إلى لون أو لغة، بل إلى الأمة التي يعيش كلّ مسلم فيها كفرد متساوي الحقوق مع غيره، وبناءً على هذا تسعى الرسالة إلى تحكيم شرع الله في الأرض والدفاع عن أرض الأمّة والتوسّع في عملية حماية العقيدة.

كما أنّ الكتب المدرسية الفرنسية اليوم تبدي احتراما أكبر للإسلام وتقدّمه على اعتباره دين توحيدي عالمي. كما جاء في كتاب "القادة الدينيين" لمؤلفيه هنري توماس ودانالي توماس فالإسلام لا يخالف الدّيانات الأخرى، بل هو **"دين يجمع ويؤلف ولا يطرد أو ينفي، ومن أدب المسلم أن يحترم عقائد غيره، أو يؤمن بأن العالم أمة واحدة تدين لإله واحد: هو رب العالمين".**[23] كما جاء أيضًا: **"تقوم رسالة محمد على أنه نبي مرسل برسالة إلهية مكلف بإبلاغها إلى الناس جميعًا"**[24]. هذا يعدّ اعترافًا بأحقّية سمو مكانة الإسلام.

وتعالج جميع الكتب الغربيّة موضوع التوسّع الإسلامي والفتوحات العربية وهي كتب التاريخ للمرحلة الثانوية منهم من أنصف الإسلام ومنه من عرفه بالتحفظ وتنقسم كتب الناشرين إلى مجموعتين: مجموعة تلتزم بالعقلانية والموضوعية في تعرّضها للشّرق والإسلام، ومجموعة تتّسم بالتزييف والتّحريف لتشويه جوهر الشّرق.

ولا شكّ أنّ الجهود الحثيثة تسعى لتفكيك الأفكار السلبيّة التي شاعت بين عموم الغربيين حتى يسير الركبان جنبًا إلى جنب، ويكاد المنصفون من مؤرخي الحضارة يجمعون بأنّ للمسلمين الفضل الكبير في تحقيق الغرب العيش الرّغيد بتسلّمه سيادة العالم ماديا بعد عصر النّهضة، حين نقل العرب كنوز القدامى إلى بلاد الغرب، لذا اهتمّ الغرب بالشّرق اهتمامًا بالغ الأثر، حيث يقول **جورج سارتون في كتابه العظيم (مقدمة لتاريخ العلم): "عندما أمسى الغرب مستعدًا استعدادًا كافيًا للشعور بالحاجة إلى معرفة أعمق، وعندما أراد آخر الأمر أن يحدد صلاته بالفكر القديم، التفت، لا إلى المصادر الإغريقية، ولكن إلى المصادر العربية"**[25].

فقد حقّق المسلمون عباقرة الشّرق أعظم المآثر في القرون الوسطى، يوم كانت اللّغة العربيّة لغة العلم، ولغة من أراد نهج العلم للاطّلاع على ثقافات الأمم السّابقة والرّاهنة، يقول **سارتون:"فكتبت أعظم المؤلفات قيمة وأكثرها أصالة وأغزرها مادها باللّغة العربية، وكانت من منتصف القرن الثامن حتى نهاية القرن الحادي عشر لغة**

العلم الارتقائية للجنس البشري، حتى لقد كان ينبغي كان إذا أراد أن يلم بثقافة عصره وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية"[26]. إذ كان تأثير العرب عظيمًا في أنحاء أوربا التي لم يسيطروا عليها إلا بمؤلّفاتهم لا بسيوفهم كما ذيع عنهم، والتي بقيت آثارهم شاهدة إلى يومنا هذا في إسبانيا بل وأقاموا لهم الكثير من المنحوتات تخليدا لعظمتهم.

مجتمع الشّرق مجتمع روحاني محافظ على قيمه، غيور على شرفه وعرضه، فقد صان الإسلام المجتمع العربي خاصّة وحفظه بمجموعة من التعليمات من تآزر وإخاء بين الأفراد ومن إكرام للوالدين واحترام للمرأة... ففي المقابل **صحفي لأمريكية** تدعى **(هيلسيانستانسيري)** قالت عن المجتمع العربي أنّه: **"مجتمع كامل وسليم ومن الخليق بهذا المجتمع أن يتمسك بتقاليده التي تقيد الفتاة والشباب في حدود المعقول..."**[27]

فالاهتمام الكبير بكتب المسلمين على غرار ابن سينا، ابن رشد، ابن الهيثم، الرّازي... يؤشّر على الدّور الكبير الذي لعبه علماء الشّرق في النّهوض بحضارة الغرب اليوم، بل وتعتقد **المستشرقة الألمانيّة زيغريد** حال الغرب كمثيله الشّرق في النهوض بما ينفع البشريّة جمعاء، فتقول: "**ولعلّ مصيرنا سيتعلّق بمصير العالم العربي الذي سبق له أن غير يومًا ما صورة عالمنا بشكل جذري**"[28]. بعد أن فقد الشّرق هيمنته الحضارية على العالم لأسباب عديدة أهمّها سقوط الخلافة العبّاسية على يد التتار والمغول الذين قتلوا ونهبوا الشّرق؛ نتيجة التّرف والبذخ الذي شهده هذا العصر في في نصفه الثاني، لتكمل الحملات الصّليبيّة ما تبقى، وبهذا فقَدَ الشّرق مادته من علوم ومعارف عقود عديدة ضاعت بين ليلة وضحاها؛ بسبب المغول الذين جعلوا من الكتب جسورًا بها في الأنهار عكس الصّليبيّين الذين حفظوا الكتب ونقلوها إلى مكتباتهم حتّى يستفيدوا منها، وبذلك كانت فتيل بداية عصر الإحياء لهم. ومن ثمّة كان لابدّ على الشّرق الاستفادة من منجزات الغرب مرة أخرى وطي زمن الحرمان والأسى الذي ألحقه الغرب به، والسير قدمًا نحو استعادة أمجاده الخالدة.

وعليه فقد كانت ولازالت مساعي العلماء والأدباء تصبو لتجديد الرؤى الإيجابيّة حول صورة الشّرقي بطرائق ومناهج جديدة قصد تفعيل القيم المشتركة بين البشر. فهناك اجتهادات غربية منصفة جدّدت وسائل حديثة للمحاورة النّقديّة البنّاءة عن العرب والمسلمين، فالشّرق كان بمثابة الأرضية الحضارية والثقافية التي أقام الغرب عليها حضارته ووصل إلى ما هو اليوم عليه، بالرغم ما لفّق عنه من محاولة طمس عصوره الذهبية.

خاتمة:

الشّرق والغرب من المفاهيم الجدليّة المستعصيّة الضّبط، خاصّة بعد استبدال العلمانيّة صراع الأديان بين الشّرق(الإسلام) والغرب(المسيحيّة) بحوار الحضارات، ليغدو صراعًا بين عالم الشّرق(المتخلّف الغارق في الموروث، الرّوحاني) وبين عالم الغرب(المتجدّد القائم على العلم والمادّة).

سعت الحضارة الغربية للتحكّم في الآخر وإبقائه في حالة تبعية تامّة، والنظر إلى الدّول السّاعية لامتلاك القوّة بأنّها تشكّل تهديدًا على العالم، فبثّت عديد الصّور التضليليّة السّلبيّة عنه. في حين هناك الكثير الدّراسات الغربيّة الحديثة اليوم تدعو إلى إعادة وصياغة بناء المفاهيم القبليّة والبعديّة عن الشّرق عامّة، بتفكيك البنى والأنساق المعرفيّة السّائدة من صور تحقيرية ودونيّة عن الإسلام والعربي خاصّة، وكراهية الغرب للإسلام تنمّ عن جهل الكثير من القساوسة جوهره، لذا هناك من حصره في المفهوم السّلبي وبأنّه دعوة لرفض الآخر، في حين الإسلام يدعو لإعلاء روح التواصل الحضاري ولترسيخ الحوار الإنساني البنّاء رغبة في تحقيق التعايش السّلمي. فيجب على العالم عيش ثقافة جديدة تسودها لغة التسامح والسّلام والعدل والإنسانية بدل تجرّع مرارة الحروب والهيمنة.

الهوامش:

[1]- إدوارد سعيد، الاستشراق "مفاهيم الغربية للشّرق"، تر: محمد عناني، رؤية للنشر والتّوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2006، ص48.

[2]- عامر عبد الزيد الوائلي، هاشم الميلاني، نحن والغرب "مقاربات في الخطاب النقدي الإسلامي"، المركز الإسلامي للدّراسات الإستراتيجية، ط1، 2017، ص15.

[3]- أحمد أمين، الشّرق والغرب، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، د ط، القاهرة، مصر، 1955، ص8.

[4]- جمال مباركي (جامعة بسكرة/الجزائر)، المحمول الثّقافي الغربي في الرّواية العربيّة المعاصرة "نماذج مختارة" مجلّة القراءات، مخبر وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، العدد الخامس، 2013، ص8/7، ص 05.

[5]- عامر عبد زيد الوائلي، هاشم الميلاني، نحن والغرب، ص330-331.

[6]- محمد حافظ دياب، ذاكرة الإسلام والغرب، المجلس الأعلى للثقافة، ط1،القاهرة، 2016، ص33.

[7]- عامر عبد الزيد الوائلي، هاشم الميلاني، نحن والغرب، ص111.

[8]- محمد نور الدّين أفايه، المتخيل المتواصل "مفارقات العرب والغرب، دار المنتخب العربي للدراسات والنشر والتوزيع، ط1،بيروت، 1993، ص109.

[9]- يوسف الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي "الفرص والتّحديات"، المجمع الثّقافي، ط1، أبوظبي، الإمارات العربيّة المتّحدة، 1997، ص59.

[10]- عبد الحليم حمود، الإعلام التضليلي "دور الدعاية والإعلان الغربية في تشويه صورة الإسلام"، مركز الدّراسات والتّرجمة، ط1،بيروت، لبنان، 2010، ص56/55.

[11]- محمد سيّد محمد، الغزو الثّقافي والمجتمع العربي المعاصر، دار الفكر العربي، ط1، القاهرة، مصر، 1994، ص53.

[12]- محمد سيد محمد، الغزو الثقافي والمجتمع العربي المعاصر، ص55.

[13]- عبد الوهاب المسيري، العالم من منظور غربي، ص131/130.

[14]- يوسف الحسن، الحوار الإسلامي المسيحي "الفرص والتحديات"، ص25.

[15]- محمد عمارة، تحرير المرأة بين الغرب والإسلام، مكتبة الإمام البخاري للنشر والتّوزيع، ط1، القاهرة، مصر، 2009، ص05.

[16]- مالك بن بني، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الإرشاد للطّباعة والنّشر والتّوزيع، ط1، بيروت، 1969، ص15.

[17]- محمد رشاد عبد العزيز، أثر الفكر العلماني في المجتمع الإسلامي، دار عباد الرحمن، ط2، مصر، 2010، ص27.

[18]- مجموعة من المؤلفين ، صورة العرب والمسلمين "في المناهج الدراسية حول العالم في أمريكا-بريطانيا-فرنسا-إيطاليا-ألمانيا-إسبانيا- روسيا- الهند- كوريا- البرازيل-إسرائيل، ص13.

[19]- مجموعة من المؤلفين ، صورة العرب والمسلمين "في المناهج الدراسية حول العالم في أمريكا-بريطانيا-فرنسا-إيطاليا-ألمانيا-إسبانيا- روسيا- الهند- كوريا- البرازيل-إسرائيل، المرجع السّابق، ص104.

[20]- مالك بن بني، إنتاج المستشرقين و أثره في الفكر الإسلامي الحديث، ص25.

[21]- عبد الحليم حمود، الإعلام التضليلي، ص287.

[22]- مجموعة من الباحثين، صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم، ص113.

[23]- عباس محمود العقاد، الإسلام دعوة عالمية، دار الكتاب اللبناني، ط3، بيروت، 1997، ص24.

[24]- مجموعة من الباحثين، صورة العرب والمسلمين في المناهج الدراسية حول العالم، ص111.

[25]- أحمد محمد الشنوائي، موسوعة عباقرة الحضارة العلمية في الإسلام، مكتبة دار الزمان للنشر والتوزيع، ط1، المدينة المنورة، السعودية، 2007، ص181.

[26]- محمد أمين المصري، المجتمع الإسلامي، ص55.

[27]- صالح بن ابراهيم البليهي، يا فتاة الاسلام اقرئي حتى لا تنخدعي، مطابع السلمان، ط2، السعودية، 1407هـ، ص44.

[28]- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب "أثر الحضارة العربيّة في أوروبَة"، تر: فاروق بيضون، كمال دسوقي، دار الجيل، دار الآفاق الجديدة، ط8، بيروت، لبنان، 1993، ص13.

❊❊❊ ❊❊❊ ❊❊❊